

الخزانة الزكية

أوجموعة كتب أحمد زكي باشا المصري

ليس في بلاد الاسلام بلدة كعصر ضاهتها بنهضتها وضارعتها برجالها ، ولا أرض كتب لها ان اقتبست من مدينة الغرب القدر الكافي الذي قام منذ نحو قرن بفضل عصابة فاضلة تشبعت بالحضارة الحديثة والحضارة القديمة فأتت من جلائل الاعمال ما أعجب به البعيد والقريب

واسم أحمد زكي باشا أمين سر الوزارة المصرية اليوم (سكرتير مجلس النظار) وأحد نواب مصر في هذا العصر يجب أن يثبت في القائمة الاولى من أسماء أولئك العاملين الاخيار . ربما يقول بعض الحاسدين (وهل خلا يوما ذو نعمة من حامد جاحد) - :
« ان عين الحب رمدا » ، فأتت باهذا تنوه بأصدقائك كثيرا في حين ينزلهم المنصفون منازلهم ، ويزنونهم بمعيار ترك لا تحسن استعماله . فلا تسبهوهم المحبة في نقد رجالهم وتقدير أعمالهم . « وجوابنا لمن يقول هذا ويدعي ان زكي باشا يعرف فقط كيف يظهر لقومه مسائل بحسبها : أن من حفظ حجة على من يحفظ ، ونحن قد نظرنا في أكثر أعماله العلمية منذ زهاء اثني عشرة سنة وأطلنا التأمل في كتبه تأليفا كانت أو ترجمة وفي مقالاته ومحاضراته (١) وحكمنا العقل ونبذنا الهوى ثم انقلبنا ونحن على مثل اليقين

(١) اليك بعض ما نعرفه من كتبه وآثاره المطبوعة :

الاربعة عشر يوما سعيداً في أيام عبد الرحمن الناصر (ترجمة عن الافرنسية)

موسوعات العلوم العربية وبحث على رسائل اخوان الصفا (بالعربي)

تقويم العرب قبل الاسلام (ترجمة عن الافرنسية)

الرق في الاسلام (بالبرية والتركية)

الدنيا في باريس (رحلة الى معرض سنة ١٩٠٠)

السفر الى المؤتمر (رحلة في ارجاء أوروبا سنة ١٨٩٢)

المعارف العمومية بالديار المصرية (عن اللغة الفرنسية)

بحث عن اختراع البارود والمدافع وما قاله العرب في ذلك (بالفرنسية)

المجلد السابع

بأن أمثاله قلائل في مصر والشرق، وأنه عامل أمين في خدمة أمته، ولغته جذير أن يقرن في العلم والعمل مع نظرائه من أساتذة الغرب .

أمثال صديقنا هذا هم ولا جرم صفوة أجيال أتت على مصر وهي تنهض حتى وصلت بفضل حكومتها — لالتي تناهض أبناءها الراشدين بل تأخذ بأيديهم — إلى هذه الدرجة من الرقي ويمتاز على كثير من الخاصة بمضائه ونشاطه . عرفه بذلك قومه وهو يافع فشاب ، وهو اليوم كذلك في سن الكهولة . وقد وصل بمجده وعصاميته إلى المناصب العالية ، فلم تشغله الزخارف والبهارج عن السير بما أخذ النفس به من التعلم والتعليم منذ وعي ورشد . وأكبر دليل تقدمه على إثبات دعوانا هذه خزانة كتبه التي جمعت فأوعت من نفائس القدماء والمحدثين والشرقيين والغربيين ولا عجب فاختيار المرء شاهد عقله قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلاً على الليب اختياره

بدأ زكي باشا بمجموعة مكتبته وهو تلميذ بمدرسة الحقوق الخديوية سنة ١٨٨٣ فكانت النقود التي يعطيها إياها أخوه محمود بك رشاد رئيس المحكمة الابتدائية

نقد المهددة النبوية (الموجودة صورها في دير الطور) (بالفرنسية)
بيان الوسائل الموصلة إلى أحياء الآداب العربية بديار مصر (بالفرنسية)
بحث على طريقة أحياء الفنون والمصناعات الإسلامية بديار مصر (بالفرنسية)
تقرير عن الكتب التي خلفها العرب بالاندلس (بالفرنسية والعربية)
بحث على الترجمة العربية لكتاب الفيلسوف إسطرطرس الذي حاول تجديد الوثنية وعبادة الأصنام (بالفرنسية)

بحث على القيوم وبلاده في أيام الأيوبيين (باللغة الفرنسية)
كلمة على محمد علي الكبير بمناسبة عيد المثلوي (فرنسوى وعربى)
سيرة نغرى باشا (بالعربى والفرنسى والانكليزى)
سيرة رياض باشا (مقالتان مع أحداهما ترجمتها بالفرنسية)
تسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى (نشرها المقتبس)
الترقيم وعلاماته في اللغة العربية (بالعربى)
غرام العرب بالكتب (نشرها المقتبس)
قاموس الجغرافية القديمة (بالعربى والفرنسى)
بحث على علاقات المصريين مع الاندلسيين « علمى ادبى تاريخى » (باللغة الفرنسية)

الاهلية بالقاهرة سابقا يشتري بها كتباً افريقية مما يستطيع التليذ أن يقتصده من نفقته أما الكتب الثمينة فكان أخوه يشتريها له فيضم اليها الكتب التي كان أخذها من المدارس جوائز ومن الاساتذة الفاحصين على سبيل التشجيع ومن ذلك تولد فيه الغرام بالكتب كما قال لنا عن نفسه

فمكتبته والحالة هذه جمعت انتخاباً واختياراً. وما برح يضم اليها من الكتب العربية والافريقية التي يمكن أن تفيد الانسان في مباحث عمومية ترجع الى ارتقاء الشرق ولما قرأ التواريخ وتحيل المجد الكبير الذي أثلله العرب في مدنيهم من غير أن يقف على تفاصيل ذلك حدثته نفسه بأن يجعل خزانة كتبه مرجعاً لمن يريد ارجاع المجد الى الشرق. ولذلك كان يقتني كل كتاب يصل اليه أو يقع تحت طاقته حتى تكون منها مجموعة ابتدائية فكانت أكبر مساعد للاستمرار على تكثيرها.

وبما دخل صاحب هذه الخزانة في خدمة الحكومة أخذ يخصص نصف راتبه

- السفر من الارض الى القمر (رواية لجول فرن اشترتها الجريدة)
 قبيل الاعدام (رواية لفسكتور هوجو اشترتها الجريدة)
 تحقيق جغرافى ناربخى عن أهل الكهف (باللغة الفرنسية)
 دروس في الحضارة الاسلامية
 خطبة افتتاح الجامعة المصرية
 (فى الاسيا با اتى ارتقى بها الاسلام) (باللغتين العربية والفرنسية)
 تاريخ المشرق (فى الازمان القديمة) ترجمة عن الفرنسية
 بحث على سرايب الخلفاء الفاطميين بالقاهرة (باللغة الفرنسية)
 الطيران فى الاسلام (باللغة الفرنسية وترجمة الى انكليزية)
 محاضرة ارنجالية على التجارة فى الاسلام (نشرها المقتبس)
 محاضرة على الشام والحرية (نشرها المقتبس)
 بحث على مؤساسة العميان فى دول الاسلام (باللغة الفرنسية)
 مصر والجغرافيا (عن الفرنسية)
 العرب وأميركا (محاضرة طويلة)
 بقايا العرب الخالدة فى أوروبا (والدلائل اللغوية المؤيدة لذلك)
 وغير ذلك محاضرات ورسائل ومقالات وخطب كثيرة فى العلم والادب والصنائع والفنون.

الشهري لشترى الكتب والنصف الثاني لسائر حاجياته وكثيرا ما كان يزيد نصف
 المحصص لابتاع الكتب على نصف الضروريات وما برحت أكثر ديونه الى هذا العهد
 للوراقين والطباعين وباعى الكتب الجديدة والعتيقة في أوروبا ومصر. ولما سافر الى أوروبا
 أول مرة سنة ١٨٩٢ رجع معه غنيمة كبرى من الكتب وكلها افرنجية مما يلزم الشرق
 وبعد ذلك اتسعت أمانيه وأصبح همه ان يكون لحزنته مزية حتى غدت الآن
 تستحق ان تكون مرآة يرى فيها الطالب معارف الشرق وعلومه سواء كانت من
 نفثات الشرقيين العرب مسلمين أو غير مسلمين او من قرائح الافرنج. وأكثر كتب
 الافرنج عنده بالافرنسية ومنها ما كتب باللاتينية والالمانية والانكليزية
 والابطالية. وهو يحسن الافرنسية احسانه للعربية وله المام بالابطالية والانكليزية
 والاسبانية يستعين به في معرفة ما قد يحتاج اليه اثنا مباحثه. ولطالما سمع الخطبة العلمية
 في الجمعية الجغرافية الخديوية التي هو وكيلها باللغة الفرنسية فنقلها ارجالا الى العربية
 وبالعكس من العربية الى الافرنسية ولطالما فعل ذلك في مؤتمرات المستشرقين في
 أوروبا وهو ينوب عن الحكومة المصرية فيها. وهذا من جملة الاسباب التي كثرت
 بها صلاته مع علماء المشرقيات في الغرب حتى لا يكاد امام من أتمهم الا اذا كره في
 الموضوع الذي يغلب عليه واستفاد منه.

وما زال صاحب هذه الحزنة يسعى وراء غايته كلما ذهب الى أوروبا في مهمة
 علمية فيعود بنقائس الكتب وغرائبها مما يرجع كله الى اظهار حضارة العرب وفضلهم
 حتى اجتمعت لديه الآن معظم الكتب العربية التي طبعها علماء الافرنج المستشرقين
 منذ القرن الخامس عشر للميلاد الى يوم الناس هذا. وحصل أيضا على مجموعة نادرة
 تحوى معظم التراجم أو المباحث التي خاض غمارها علماء الفرنجة ولا سيما ما يتعلق منها
 بالعرب والاسلام وقد زار سورية زيارة علمية عقيب انتشار الدستور العثماني وكان لا بناء
 دمشق حظ وافر من الاخذ من معارفه وانفع ناشئها بحديثه وخطبته الزانة وأعجب
 الخاصة من القوم ببيان وتحيققة العلمى وودوا لوزار سورية كل سنة واحد من أمثاله
 فتوخى اقامتها وتعليمها.

ذهب الى الاستانة مرات فوجد المجال فسيحا فيها هو بصده من احياء آثار

العرب ووقع على كنوز في مكاتبها قلدا وفق للاطلاع عليها أحد اقبله . وبمعاونة حسين حلمي باشا الصدر الاسبق تيسرت له المطالب وفتحت له الابواب بعد الحرية العثمانية واشتغل كما يشاء . ولما علم الجناب الخديوى بالامرعاونه على ما أخذ النفس به ولا عجب فالحكومات الرشيدة تعرف ان لا رونق لبلادها بدون علم . والعلم في الشرق لم يتم له سوق نافعة الا في ظل الملوك العاقلين فان تنشيطه من خصائص الجمعيات والامراء المفضلين . على نحو ما كان في العرب ولا يزال الى عهد قريب . فرأى صديقنا (وذلك مذهبه منذ القديم) ان الناسخ ماسخ لا يعول عليه في نقل الكتب النادرة فاستحسن النقل بالغوتوغراف ليكون لديه الاصل برمته . واستحضر من سفرته هذه زهاء مئة كتاب بالتصوير الشمسي وكلها نفائس كان يظن انها مفقودة . فلما رأت الحكومة المصرية هذه الهمة الفائقة وبحتت في هذا العمل المجيد كان أول مظاهره له الجناب الخديوى ورئيس الوزارة الحالي محمد باشا سعيد وأظفر معارف مصر أحمد حشمت باشا فاجبوا ان يكون الشرف كله لمصر لا لمصرى واحد، خصوصا ومصر اليوم هي المكلفة باحياء مجد العرب ووارثة تراثهم المأمونة عليه .

فرأى امام هذه العناية العالية ان يقدم هدية لامته وأهل بلده فأوقف مكتبته كلها ولا يقل ثمنها عن اثني عشر ألف جنيه بمكاتبها وخزائنها وقاطرها وكراسيها وكل ما يتعلق بها . فأكبر الجناب الخديوى هذه الخدمة فأصدر أمره بتخصيص قسم مستقل من دار الكتب الخديوية منعزلا عنها وخاصا باحمد زكي باشا يشتغل فيه طول حياته لنفع أمته وبلاده . والذي حدا الواقف على هذا العمل منذ الآن انه خشي أن يأتيه القدر المحتوم فجأة فتبدد كسبه أيدي سباء خصوصا وقد رأى العبرة بعينه في كتب على باشا مبارك والامير محمد ابراهيم والشيخ رضوان العفش وحسين باشا حسني وغيرها من المكاتب المصرية الخاصة التي اشترى بعض نفائسها وضماها الى خزائنه . فأوقف ما يملك منذ اليوم وأخرجه من داره قال : أخرجت المكتبة من ملكي حتى اذا جاءني أمر ربي ذهبت وليس في النفس حاجة . لان ثمرة عمري وهى الكتب موضوعة في كلاله الامه والحكومة فلا يعبث بها وارث ولا شبه وارث خصوصا وانى اعتقدان من يوقف شيئا على الخير و يؤجل نفاذه الى ما بعد موته لا يكون له الحق في طلب الثواب عند الله لانه تبرع

مما آل الى ورثته . واني لاحب تجديد العمل بالاستقالات الشريفة . فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال : أن تصدق وأنت صحيح حر بص تأمل الفنى وتخشى الفقر ولا تأمل حتى اذا بلغت الحاقوم قلت : افلان كذا و افلان كذا وقد كان افلان (رواه البخارى في صحيحه)

لم يقف الواقف عند هذا الحد بل انه مابرح في كل يوم وفي كل شهر يشترى كتباً من أوروبا ويستحضر الاسفار الثمينة بالفتوغرافيا من الاستانة و يضم هذا وذاك الى مجموعته النفيسة ليكتفي الباحث بما فيها عن غيرها . ومن مميزات مكتبته انها تضم أهمات الكتب في كل فن وعلم ومطلب لان جامعها أراد أن يقتني بها عن الرجوع الى دار الكتب الخديوية . وفيها كتب كثيرة من المطبوعات في مصر والهند والعراق والشام وغيرها مما لا يكاد يوجد في دار الكتب الخديوية . دعى الكتب الكثيرة المحفوظة التي حوتها وقلت نظائرهما في دار الكتب الكبرى هذا مع حفظ النسبة والاعتراف الصحيح الصريح بأن دار الكتب الخديوية بالنسبة لهذه الخزانة أوسع مادة وأغزر قيمة ولكن خزائن الافراد قد يكون فيها من النواذر والوقاء بالحاجة مالا يسقط على مثله في الخزان العامة . وكيف يكون وجه للمفاخرة بين مجموعة جمعها رجل فرد بوسائله الذاتية وهو لم يرث عن أهله قرشاً واحداً وبين دار كتب هي مجمع ما بقى مآخلفه السلاطين والملوك والأمراء وأهل الثروة والكبرياء من أعيان المصريين . قال صديقنا في عظمة دار الكتب الخديوية : وناهيك بمكتبة فحها اسماعيل بنفحاته ، وتولاها توفيق بعناياته ، ثم شملها عباس برعاياته ، ولا يمكن التنهيص على تعيين ما عنده من النفائس ولطالما شهد اعمال دار الكتب الخديوية أنفسهم على ما فيه من الذخائر والاعلاق ويكفي انك مهما درت في ديار مصر وقلبتها من أدناها الى أقصاها من دور الحكومة الرسمية ومن معاهد العلم العمومية حتى ولو ذهبت الى الدفترخانة المصرية لاتجد فيها آثراً لجريدة الوقائع المصرية التي كانت تصدر في أوائل عهدها أيام محمد علي . ولكنك اذا أتيت الخزانة الزكية تجد قسماً عظيماً منها وتقرأ فيها المعجب المطرب مما يدل على حالة البلاد في تلك الايام وانت لوانتمسته بالملكاش في تضاعيف الكتب او بمسألة الشيوخ لاتصل اليه بته هذا مثال واحداً من امثلة كثيرة .

وتمتاز هذه الخزانة بأنها تجمع الكتاب النفيس بما تقاب عليه من الادوار والاطوار فتجده من مخطوطا بخط اليد وأولاً ومطبوعاً بولاق ثم نسخاً مطبوعة منه في الشرق والغرب ان لم تجد ترجمته الى اللغة الفرنسية في الغالب أو في الانكليزية أو الاسبانية أو اللاتينية أو الايطالية أو الالمانية، ثم المباحث التي كتبها جهابذة العلماء على الكتاب أو على المؤلف، بحيث ان الباحث يتيسر له وإحالة هذه أن يستوفي موضوعه بأسهل شيء وان يكمله بحسب حاجته ومقدار همته .

من الكتب النادرة المخطوطة عنده أربعة أجزاء لابن عساكر وأربعة أجزاء من مرآة الزمان لابن الجوزي ونسخة كاملة من تاريخ ابن خلدون عليها خط الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر ونسخة من الجزء الرابع من تاريخ الجبري وبقطن أنه يحتوي على فصول كثيرة اضطرروا الى حذفها من النسخة التي طبعت في بولاق لان فيها ما فيها مما يختص بمحمد علي ولكنه لم يحقق ذلك بطريقة يقينة غير ان ضخامة الجزء تجعل الظن أقرب الى اليقين خصوصاً والصفحة من المخطوط تعادل ثلاث صفحات من المطبوع علي الأقل فتزيد بأقل تقدير ١٥٣ صفحة من المخطوط وإذا أضيف إليها ٤٠ صفحة من المخطوط ايضاً فيكون مجموع المطبوع في النهاية العظمى ومع التسامح الزائد معادلاً لآلاف صفحة من المخطوط وربما كان ما يبق بعد ذلك من المخطوط هو عبارة عن مجموع الفصول والجلل والعبارات التي استصوبوا حذفها من الاصل بعض الاعتبارات وذلك يعادل خمسين صفحة من نسخة بولاق المطبوعة سنة ١٢٩٧ هـ ومن الغريب ان صاحب النسخة المطبوعة نص على ان طبعته « بلا زيادة ولا تحمين ولا اضافة » ولكنه لم يفضل هذا الجمل ولم يقل لنا انه لم ينقص منها شيئاً .

وفيه مجموعة الكتب التي صدرت في بولاق وفي مطبعة اركان حرب الجهادية المصرية وفي مطبعة مدرسة الطب المصرية . ومما يجب الفات النظر اليه بهذه المناسبة ان محيي مصر محمد علي كان يأمر بأن يذكر في كل كتاب طبع علي عهده بأنه هو الثاني أو الثالث أو الرابع من نوعه . يعرف ذلك من النظر في كتب زكي باشا . فعنده قاموس للغة العربية . والطليانية . مطبوع في زمن محمد علي وهو ثاني كتاب ظهر في مطبعة بولاق الاميرية أما الكتاب الاول الذي طبع في بولاق فلا نعلمه وليس لهذا الكتاب أثر في الخزان

الآخرى ذلك عدا الكتب المطبوعة في ديار الشام والجزيرة (الموصل) وتونس والجزائر ومراكش وجزيرة مالطة وغيرها .

ومن مميزاتنا ان فيها مجموعة من المجلة الآسيوية الباريزية منذ أول عدد صدر منها سنة ١٨٣٢ الى الآن، ونسخة من لسان العرب على ورق كتان . وفيها أكبر مجموعة في الشرق لما كتب عن اللغة العربية مما هو من أبحاث علماء الشرق وعلماء الافرنج بحيث ان الحكومة المصرية تجد فيها كل ما يلزمها « في وضع معجم جامع للشوارد والاولاد والضوابط والروابط ومصطلحات أصحاب العلوم والصنائع والفنون على ضروبها وفروعها حتى تكون تلك الدواوين رجعا يعود اليه كل عربي في كل موضوع ومصطلح » (١) يوم تصح عنيتها على ابراز هذا اثر النفيس الخالد . ومن الكتب النفيسة كتاب في الفتوة في الاسلام وفيه ابواب في مكارم الاخلاق بحسب الطريقة الاسلامية وينتهي بفصل طويل في مجالس الفتوة ونظامها الداخلي وهو أشبه شيء بنظام الماسون واصطلاحاتهم ورموزهم وأعمالهم وقبول الأجانب في زميرتهم . وهو فصل مهم ولا يوجد هذا الكتاب في مجموعة أخرى فيما نعلم . ومنها كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد الذي تكلمنا عليه منذ بضع سنين في مجلة المتقطف وهي النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

ومن مميزاتنا كتب الطب المطبوعة في أوروبا بالعربية والافرنجية، ومنها ما يتعلق بالفلسفة والعلوم كالكيمياء والطبيعة والفلك والميكانيكا والآلات الروحانية (المفرقة من الهوا) وكتاب ابن سينا ومنها القانون وجزء من الشفاء مطبوع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ بعد اختراع الطبع بمدة قليلة و يتلوه كتاب النجاة في المنطق .

ومن مخطوطات هذه الخزانة قطعة من تاريخ الدولة الاموية من أول خلافة الوليد ابن عبد الملك الى انقراض الدولة العباسية وهي على رأى صاحب الخزانة أوفى تاريخ معروف لهمايتين الدولتين ويظهر ان المؤلف كتب كتابه في مصر عقب انقراض الدولة العباسية مباشرة لانه يشير الى شيخه وأستاذه ابن الأنجب السامي . ومنها تاريخ محمد علي باشا مؤسس الاسرة الحديوية للشيخ خليل بن احمد الرجبي بعثه علي وضعه الشيخ محمد

(١) انظر المقالة التي كتبها المحقق سائسا على هذه الامنية في صفحة ٤٥٩ من المتقن السابع

العروسي يحتوى على حالة مصر قبل الفرنسيين وحالة أمرائها وأخلاق محمد على وعلى اخراجه من كان بمصر من المفسدين من المالك وغيرهم وعلى تعميره لارض مصر واحياء قطرها بالزرع وعلى بعض آثاره من الابنية والعمارات وعلى ذكر احياء دولة الكتبة المسلمين وعلى ما أنشأه من السفن وعلى ذكر العساكر الجهادية ووجوب اتخاذهم بالادلة الشرعية والسؤال عن القوانين الموسومة للعساكر الجهادية هل هي مطابقة بعد للشرع الشريف أم لا

ومن مخطوطاتها الدر الثمين في تاريخ اليمن في أيام الامام محمد بن عايط ، وكتاب روح الروح فيها حدث بعد المائة التاسعة من القن والفتوح في اليمن . وفي الخزانة كتب منقولة بالفتوغرافيا وهي من الامهات أو النوادر ولا بأس بأن تشير الى بعض ما حوته خزائنا الزكية من الكتب المأخوذة بالتصوير الشمسي فمنها تاريخ السودان في أيام محمد على وكتاب المجازاة والمجازاة للصفدى ونسخان من الهدايا والتحف للخالدين ومختصر ذخيرة ابن بسم للاسعد بن ماتي والتذكار الجامع لمن ملك طرابلس ومن كان بها من الاخيار وهو التاريخ الوحيد فيها لعلم الذي ألف في هذه المملكة على انفراد . والامتناع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى (في ثلاثة اجزاء) والبصائر الذخائر له أيضا (في خمسة اجزاء) ومقدمة ابن خلدون وعليها تصحيح المؤلف وخطه . والشعور بالعمور وهو قاموس لاعلام المشاهير الذين أصيبوا بفقد احدى أعينهم ، وصحيح الاعشى نسخة كاملة سبع مجلدات فرغ المؤلف منها سنة ٨١٤ وهذه النسخة مكتوبة سنة ٨١٧ وهي أجود من النسخة المبثورة الموجودة في دار الكتب الخديوية ورايات المبرزين واعلام المميزين لابن سعيد الاندلسي .

ومن المخطوطات رحلة الشيخ محمد بشير البرتلي من بلاد نوات الى الحرمين وصف فيها الصحارى والبلاد في القرن الثاني عشر للهجرة وقطعة منقولة بالفتوغرافيا من كشف البيان عن وصف الحيوان ، وهو موسوعات ألفها فتح الله السكندرى الذى كان في أيام السلطان الاشرف برسباى وهي عبارة عن ستين جزءا موجودة بخط المؤلف في المكتبة السلجمانية وفي مكتبة طوبقوب بالاسكندرية . وفي هذه القطعة معلومات وافية غريبة عن المؤلف والمهم ذكر قائمة الكتب التي نقل عنها وهي تربو على الثلاثة

آلاف كتاب . من المخطوطات من عيون التواريخ لابن شاكر جزآن (ومنه عدة أجزاء في المكتبة الظاهرية بدمشق وكتاب ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه وارجوزة الصفدى في جميع الذين حكموا دمشق الشام الى عصره ورسالة اخرى في ذات الموضوع على ترتيب حروف الهجاء وفي المكتبة الاحمدية في حلب) ومن المنقول بالتوغرافيا سير اعلام النبلاء للذهبي أصله في أربعة عشر جزءاً ضخمة وكان موجوداً في القاهرة وفيها فقد الجزء الاول والثاني ثم انتقلت النسخة كما قال زكي باشا في جملة ما انتقل من كتب مصر الى القسطنطينية وهناك ضاع الجزء الاخير فبقي من الكتاب ثلاثة عشر جزءاً . ومن المخطوطات كتاب الجني الداني في حروف المعاني لبدر الدين ابن أم القاسم ومنها التحفة الوردية للعلامة عبد القادر البغدادى وهو كتاب مفيد جداً بالادب وحسبنا في التعريف به نسبه لمؤلفه . وألطف ما فيه ما كتبه المؤلف بخطه في آخره :

« قابلها مؤلفها وصحح ما تيسر منها فإن كاتبها لا يكاد يكتب كلمة صحيحة لا بآراء الله فيه فإنه أتبعني في تصحيحها من غير نسخة فإن الأصل كان عنده ليكتب منه وما تيسر بعد تمام الكتابة مقابلة ما كتبه بالأصل فإن مستكتب هذه النسخة كان مسافراً نفع الله بها من كتبت لاجله وهو الوزير الجليل والصدر النبيل عبده باشا الشير بنشأحي باشا لطف الله به في الدارين آمين . قاله بقمه وكتبه بقلمه الفقير الى الله تعالى بحبه عبد القادر البغدادى لطف الله به وبأسلافه وبجميع المسلمين . وتم ذلك في الليلة الرابعة عشرة من شهر رمضان من شهر سنة ١٠٨٧ . وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على عبده وخليفه محمد وآله وصحبه وسلم الى يوم الدين . »

وهذه العبارة تؤيد مذهب زكي باشا من ان الناسخ ماسخ .

ومن أهم المخطوطات في هذه المكتبة مجموعة كاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الآن بالشفرة وكيفيتها عند العرب واستخراجها . قال صاحب هذه الخزانة وكانت العرب تسمى هذا الفن بفن الترجمة وحل التراجم وحل المترجم والذي يشتغل بذلك المترجم (بكسر الجيم) ولذلك ترى المؤلفين الاقدمين مثل ابن النديم وغيره عند ما يتكلمون على الكتب المنقولة عن اليونانية والفارسية يستعملون

في الغالب لفظة النقل ولا يستعملون لفظة المترجم ولا الترجمة الاندرا . ولما كان هذا العلم خفيا خاصا بأسرار الحكومات الاسلامية فكان مضمونا به ولا يصل الجمهور اليه فلذلك جهل كثير من الناس معنى هذه الكلمة حتى ان كتب اللغة لاتشير اليها بل ان شراح المقامات (عند ما أشار الحاريري اليها في احدى مقاماته) جهلوا ولم يفسروها وعملوا فيها بل ان صاحب اسان العرب نفسه لم يذكرها كان عارفا تمام المعرفة بهذا الفن وكان هذا الفن مستعملا في الدول الاسلامية من أيام المأمون الى الحروب الصليبية فأخذوه الافرنج عن المسلمين الذين أخذوا مبادئه عن اليونانيين ثم رده الافرنج اليها ولهمنا بعارف أهلنا اخترناه باسمه الجديد عند الافرنج وهو الشفرة التي نقلها الافرنج عن كلمة صفر العربية واستعملوها بمعنى الأرقام لانهم استخدموا الأرقام بدلا من الحروف في الكتابات السرية ثم اتنا جعلنا بدل الشفر لفظة الجفر لتقارب المحرجين خصوصا وان الجفر كان يستعمل في الانغاز بالحوادث المستقبلية فصار من هناك شبه علاقة جعلت العامة تعتقد ان الجفرة المستعملة الآن هي مأخوذة من لفظة جفر المستعملة في كتابة الملاحم . والصواب غير ذلك .

ويضيق بنا المجال اذا أردنا الاضافة أكثر من ذلك في وصف هذه الخزانة . ومما فيها كثير من المصورات (الخرائط) المعمولة في أيام العباسيين وبعدهم وخريطة افرنجية صنع العلامة فلاماريون الفلكي عن السماء وما فيها من الكواكب عليها أسماء الكواكب بالعربي والفرنساوي وضعها زكي باشا . ومنها مجموعة الفرمات الصادرة باللغة التركية بخصوص الحكومة المصرية من أول محمد علي الى آخر اسمعيل . ومجموعة أخرى من المصورات لبلاد الاناضول المشهورة مرسومة مدنها بالالوان تربها ظاهرة مجسمة لواحد من أبواب الفنون المسلمين . وفيها صورة جميلة للسultan صلاح الدين الايوبي

ومن مزايها هذه المكتبة ان صاحبها مثل صديقنا احمد بك تيمور يعرف مافي خزانته ، ليس جماعة للكتب فقط . وعلي بعضها شروح وحواش وورق ومفكرات . وتجد فيها الكتب المطبوعة النفيسة أكثر من المخطوطة والعربية أكثر من الافرنجية والخزانة التيمورية أغنى بمخطوطاتها وأحسن بتنسيقها كما ان الخزانة الزكية أغنى

بمطبوعاتها النادرة. ولكل منها مزية تختلف باختلاف محيط صاحبها وأسبابه ومعارفه. ومن غريب الاتفاق اننا كنا هذه المرة أيضا مع أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري يوم زيارة المكتبة الزكية زيارة طويلة لتستلي من صاحبها البجامة بعض ما لقنناه عنه آنفا. على اننا نعرف خزانته منذ ثمانين سنين وكان حفظه الله رخص لنا بالاختلاف اليها يوم كانت في داره بمابدين أى وقت أحينا، كما فعل الآن، وأن نأخذ منها ما نشاء ونرجعه متى نشاء، وقد فعل هذه المرة كذلك ولم يخص بهذه النعمة الادبية الا افرادا معدودين من أصحابه. وأنا لفرجو في الحتام أن تطول أيام أحمد زكى باشا لينفع مصر وكل قطر يعلمه ويعلم هذا الشرق الغربي بهيمته وبزيد في نهوضنا العلمى والادبى بمشاركته الغريين ومنافسهم فى احيا آثار سلفنا

« القائمة الانتقادية »

« بقية ما فى الجزء الماضى »

أشرعت بابا الى الطريق وشرعت لكم فى الدين شريعة. أشب الله قرنه والرجل شب ولده وشب الغلام شب شبابا والنار والحرب شبوبا وشبا. اشتهرنا فى المكان أقنا فيه شهرا وشهر سيفه وأمره شهرا وشهرة. أشكته لجأته الى أن يشكو واذا نزعنا عن شكايته وشكونه شكايه. أشجاه أغصه وسجاء حزنه. أشكل على الامر وشكلت الكتاب والظاهر فهمما شكولا. أسررت الشئ، أظهرته، وسررت الملح والاقط نشرته ليحب، أشاف على كذا وأشفي أشرف، وشف كذا أشوفه جلوته، أشخص الرامى جاز سهم الغرض، وبفلان اغتابه وشخص لسفه شخصا ويصره فتح عينه. اشم مر رافعا رأسه وشممت الشئ، شما وشميا، أشاد بذكره رفقه وبالشئ، عرفه، وشاده يشيده شيذا أى حصصه بالشيد وهو الجص، أشعب الرجل مات أو فارق فراقا لا يرجع وشعب كذا الأمر ينفقه وفرق بينه ومنه سمي المنون شعوبا، أصحت السماء وصحا السكان يصحوا صحوا أصعد فى الارض وصعد فى الجبل قال أبو زيد ولم يعرفوا صعد